



أتعلمون أن أبا فيصل لم يتجاوز الثلاث والعشرون ربيعاً؟
أتعلمون أن أبا فيصل طالب في السنة السادسة في كلية الطب البشري في حلب؟!
أتعلمون أن أبا فيصل من حماة الأبية؟
أتعلمون أن أبا فيصل وحيداً لأبويه؟
أدركتم ذلك الآن، فلتعلموا أيضاً أن كل ما أراده أبا فيصل هو أن ينقد حيواناتٍ باتت هدفاً دائماً لذلك الشبح الأسود المسمى بالموت الذي لم يهدأ للحظة أو ليل، فقرر أن يلتحق بركب الجنود المجهولين

نعم أبا فيصل كان جندياً مجهولاً يعمل بصمت، ولكن بصمت جبار، صمت يزلزل معالم الكلام، فالتحلق بمشفى الشفاء في حلب ليعالج الجرحى والمصابين.
لم يكن يأبه لמאكله أو مشربه أو حتى ملبوسه، فقط قفازاً يديه الأبيضين هما الشيء الوحيد الذي يتغير.
كان يلهث بين مريض يحمله سرير وآخر لم تتحمله إلا قطعة قماش بالية ممددة على الأرض، فليس هناك أسرةً تكفي لتخفف عنهم آلامهم وتسعف الطبيب في علاجهم.
 أسبوع واحد كان وحده الفاصل الزمني بين حياته وموته..
 أسبوع واحد جَهَد فيه محمد على أن يدواي جراحهم بلا كلل ولا ملل فكسر قلوبهم ودعائهم له بالخير، وكأنني أراه يبكي لدى سماعيه لدعائهم له ولسان حاله يقول: هي لله هي لله، لا للسلطة ولا للجاه.
وفي يوم 21/11/2012 عندما كان يعالج الجرحى الذين كانوا يتکاثرون حوله شاكين له جراحهم، فزعين من دمائهم، خائفين على أرواحهم.
قرر المجرمون أن يتخلصوا من المشفى بكل وحشية.

لم يكن ليرضيهم أن الجرحي الذين تأذوا بسببهم سيعالجون من أوجاعهم، سيرجعون للحياة سالمين، ذلك ينفص عليهم حياتهم ويكرد مزاجهم ويخرب عليهم تلك الصورة الإجرامية التي رسموها للجرحى (الموت لا غي) وعندهما قرروا التخلص من المشفى لم يكن ذلك بإغلاقه أو احتلاله كباقي المشافي الأخرى لا بل برميه ببرميل ناسف يسويه بالتراب.

ويديو صوت في الأرجاء يصم الآذان من شدته.. تغطي المكان سحابة غبار كثيفة كثيبة تكتم الأنفاس، يتبعثر التراب ومعه قطع وشظايا قاتلة، ويعم هدوء مقيت لثوان معدودة فقط، ثم تعم فوضى البحث عن الناجين...
الأمل بالعثور على ناج يبدو مستحيلا..

وفجأة تحت عذاب الركام هناك روح تتنفس، أحدهم يحاول التقاط أنفاسه، يحاول الصراخ عليهم يسمعون لكن الركام يحجب صوته، كان هناك جسد يبدوا أنه لمصاب مستلق على تذكرة المرضى ما زال على قيد الحياة والأنقاض من حوله، سارع الشباب لمحاولة إخراجه وفي كل لحظة يهمسون لبعضهم أين أبو فيصل؟ لم نجده بعد! .. وبعد محاولات حثيثة لإخراج الجسد وبعد أن حرروا الساقين من الأنقاض وجدوا رأسا!! يبدو أنه لرجل قد فارق الحياة..

أخرجوا المصاب.. لا زال على قيد الحياة.. ثم عادوا إلى الرأس الذي وجدوه والوجه متوجه نحو الأرض.. حفرو قليلا من حوله ليجدوا يداً بقاز طبي.. فأدركوا عندها أنه شخص من كادر المستشفى، تابعوا الحفر حول رأسه حتى بان وجهه..

إنه أبو فيصل وقفازاه تحكي ذلك، كان مرميأ فوق جسد المصاب محاولاً إنقاذ حياته، وبعد ذلك أخرجوا جسده ووجدوا معه جسد فتاة كانت تعمل ممرضة في المشفى اسمها بشرى شيخو هي الأخرى لم تترك المصاب، حملوه بعيداً عن مسرح الجريمة التي ارتكبها الوحش بحقه وقلوبهم تتقطع ألماً وكذاً.

لا تحزنوا عليه يا إخوتي هو شهيد هو سعيد وليموتوا بغيظهم فخلف محمد ملائين الأبطال أمثاله كتب عنه عبد الرحمن الكيلاني:

نصف الوجه هذا للطبيب محمد قاسم آغا، طالب في السنة السادسة في كلية الطب.
انضم الأسبوع الفائت إلى طاقم مشفى دار الشفاء في حي الشعار بحلب، وانفجر البرميل فوقه ظهر اليوم....

إلى أين تهرب يا دكتور محمد من كل طوابير المصابين الواقفين - وغالبا المستلقيين - أمام عيادتك: دكتور قدمي تنزف، دكتور رأسني ينفجر، دكتور لسانني نسي الحرف، دكتور أذني تحكني، دكتور أنا أسعف، يا دكتور أهذا نزيف من شظية أم مجرد رعاف؟ دكتور معدتي تصلت من عدم الرغيف، دكتور عيني تعبت من متابعة الطائرات، دكتور لا أستطيع الركض، دكتور أريد المعركة والمعركة لا تريدني تقول أن لا أطراف لدى لحمل السلاح، دكتور أنا لا أسمع من الانفجار، دكتور سحبت أمري من الأنفاس فنسست نصفها في الأسفل، دكتور أنا لا أنام من الألم، دكتور دكتور دكتور دكتور.....
وأنت بأعني أسلحتك، عدة طبية كاملة بكل مشارطها وسفاكينها وأدواتها الرقيقة التي تتوغل في اللحم وتستخرج الشظية، تتنقل بينهم تحاول المساعدة، وعندما تضجر تصرخ بكل صوتك: تعبت يارب تعبت، يارب تعبت وأريد دكتور "إلى أين ذهبت يا دكتور بكل هذه السرعة والانزلاق للأسفل واستعجال دفنك؟

يا دكتور ليس في الأسفل مرضي، يا دكتور ليس في الأسفل جرحى، يا دكتور ليس في الأسفل إلا سرمديون شربوا إكسير الخل وخلدوا ..
وأنت استعجلت إكسيرك يا دكتور.

موعد انتظرته في أول ساعة من بدئ الضغط والتوجل والسحب والتخييط، من حينها وأنت تترقب البرميل المكتوب عليه اسمك، هابطا ينتقم منك على كل تلك الحيوانات التي أنفذتها من موته الدافق.

كنت تتساءل لماذا تأخر؟

لم يتأخر، أسبوع من المهنة لا يكفي.

وكنت تحكي عن كم أن القتلة حمقى إذ انشغلوا بالجرائم الصغيرة ونسوا الانقضاض على أكبر أعدائهم. لقد تذكروا يا دكتور، انقضوا عليك.

وكنت تثق باحترافك المهنة وقدرتك على تفادي الشظية أو على الأقل تفادي النزيف وإبقاء الجروح مفتوحة على اتساعها، كنت تثق إلا أن الموت محتم أكثر من إنقاذ طبك يا دكتور.

لك السلام، وللرفيقين ولمرضاك الـ13 السابقين أو الذين كانوا محتملين وتأكدت احتمالاتهم، وللإنسانية أكبر وأعرض سرير لديك، وكل أجهزة الصدمة والانعاش، ولهمائك من المحاولات ..

لا فائدة، ارفع أجهزتك عنها واندفن في خلدك..

ولينصب عليك ذلك الإكسير الحلو، بنفس المفاجأة والكثافة التي انصب بها ذلك البرميل.. واخلد وكتب صديقه

تركك أمك وخواتك اللي مالهن غيرك بعد وفاة أبيك

تركك مدینتك حماه الفداء وطلعت ع حلب الشهباء من بداية إعلان بدء تحريرها لتسعف الجرحى فيها
نيالك ياطبيب الإنسانية استشهدت وأنت عم تعالج الجرحى والكافوف موجودة على أيديك لحظة استشهادك

إهداء للشهيد

رحمك الله يا محمد كل ما أردت هو إسعاف الجرحى،

يالحجم صدقك مع الله حتى يكرمك بما تريده وأكثر

ليتنا نمتلك ربع همتك وشجاعتك التي ملكها قلبك

وليتنا نمتلك ربع تضحيتك التي قدمتها روحك

فليسكنك الله الجنة يابطل.

قصص شهداء الثورة السورية

المصادر: